التواجد اليهودي في انكلترا حتى قانون الطرد عام ١٢٩٠

المدرس الدكتور باسم كسار كظم

قسم التاريخ/ كلية التربية الاساسية/جامعة المثنى

هنادي عبد العظيم صفر

قسم التاريخ/ كلية الاداب/جامعة البصرة

الملخص:-

ناقش البحث دراسة الوجود اليهودي في انكلترا لما له من اهمية كبيرة في تلك الفترة ، اذ كان لهذا الوجود دور وتأثير مهم على السلطة الملكية وانسجم هذا الدور من خلال وجودهم المباشر في داخل المملكة (انكلترا) ، وكيف بدأت بوادر هذا الوجود ، ومن ثم اصبح لهذا الوجود تأثير مباشر على الاوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية بشكل مباشر وغير مباشر على المسيرة التاريخية لشعوب العالم بأسره فيما بعد ، ويبدو الامر اكثر وضوحاً عندما اصبحت الاحول الأوربية مقدمة لازمة وصراعات سياسية ، كما كان لهذا الوجود في انكلترا صدى عميق ومباشر في اشعال صراع بين المجتمع والسلطة الحاكمة .

كلمات مفتاحية: قانون الطرد، الوجود اليهودي، انكاترا، العقيدة الدينية.

تاريخ الاستلام: ٢٠٢١/٠٤/٠٧ **تاريخ القبول:**٢٠٢١/٠٥/٢٣

Jewish Presence in England until the Expulsion Act of 1290

Lect. Dr. Basem Kassar Kazem
Department of History /College of Basic Education/University of Al-Muthanna
Hanadi Abdel Azim Safar
Department of History /College of Arts/University of Basra

Abstract:

The research discusses the study of the Jewish presence in England because it was of agreat importance at the time as this presence had an important role and influence on royal power and was complemented by their direct presence within the Kingdom, This presence has thus had a direct and indirect impact on the political, economic, cultural and social conditions of the peoples of the entire world. It seems abvious when the European states became a prelude to a crisis and political conflicts as this presence in England has also resonated deeply and directly in igniting a conflict between society and the ruling authority.

Keywords: explusion Act**,** Jewish presence, England, religious belief**.**

Received:07/04/2021 **Accepted: 23/05/2021**

المقدمة:-

عُد هذا الموضوع من المواضيع المهمة ، ولاسيما ان تلك المدة التاريخية من تاريخ انكلترا شهدت العديد من التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما يرجع سبب اختيارنا لهذا الدراسة هي الأهمية الكبرى التي توضح لما لهذه الوجود اليهودي من تأثير على الاوضاع السياسية في البلاد ، ووصل الامر إلى قيام صراع سياسي بين المجتمع الانكليزي والسلطة الحاكمة ، بسبب ميل الحكومة الانكليزية الذي اصبح اكثر وضوحا لاهتمام هذه الجالية اليهودية في انكلترا .

تتمحور أهمية الموضوع في التركيز لبداية الوجود اليهودي في انكلترا ، اذ أن اليهود دخلوا إنكلترا في العصور الوسطى، وتحديداً مع غزو وليام الفاتح (William the Conqueror) ١٠٦٦- ١٠٨٧ لإنكلترا عام ١٠٦٦ والذي قام بتحويل انكلترا الى تابع ثقافي لفرنسا الامر الذي افرز تحولات سياسية واقتصادية واجتماعية هامة في التاريخ الانكليزي كان من اهمها قيام وليام الفاتح باستقدام اليهود الى انكلترا ، ثم تأثير الدعوة للحروب الصليبية عليهم والوضع القانوني لهم في ضوء موقف الكنيسة منهم وما تروج اليه من قيام اليهود بالاعتماد على سفك دماء الصبية المسيحيين ، الأمر الذي وصل إلى حد أن قام الملك هنري الثاني (Henry II) ١١٣٣- ١١٨٩ ذات مرة بالإشراف على إعدام اليهودي المتهم بإحدى الجرائم بسبب قتله لرجل انكليزي كان مريض ، وانتقالا الى فترة ازدهار وجودهم بالمملكة والامتيازات التي حصلوا عليها في عهد الملك جون John (١١٩٩-١٢١٦) ، وانتهاء بالمشهد الاخير للوجود اليهودي في المملكة والذي انتهى بطردهم منها على يد الملك إدوارد الأول(Edward I) ١٢٣٩-١٣٠٧ عام ١٢٩٠ ، وهو ما أدى إلى أن بقيت إنكلترا خالية من اليهود تماماً .

بداية التوجه اليهودي نحو انكلترا

ترجح الموسوعة اليهودية [١] وموسوعة جودايكا [٢] إضافة إلى العديد من الكتابات اليهودية والكتابات البريطانية، أن اليهود لم يدخلوا إنكلترا إلا في العصور الوسطى، وتحديداً مع غزو وليام الفاتح [٣](William the Conqueror) ١٠٦٦- ١٠٨٧ لإنكلترا عام ١٠٦٦[٤] . وعلى الرغم من ذلك تثير بعض الكتابات التاريخية جدلاً حول دخول اليهود إلى الجزر البريطانية، مشيرة إلى أن اليهود دخلوها، وأقاموا فيها، في العصور القديمة من خلال التبادل التجاري عبر البحر المتوسط .وفي هذا الإطار يقول ريكس ويلدون فين Welldon Finn Rex وهو مؤرخ بريطاني متخصص في تاريخ العصور الوسطى: **"من المحتمل أن يكون اليهود أو بعض الأجناس السامية قد وصلت إنكلترا قبل ميلاد المسيح، وذلك لأن التجار كانوا يأتون إلى إنكلترا من كل موانئ البحر الأبيض المتوسط، مثل مارسيليا والبحر الأدرياتيكي وفينيقيا، وكذلك من المراكز التجارية في شمال أفريقيا . ولا بد أن بعض هؤلاء استقروا واختلطوا وتزاوجوا هناك (خاصة في كورن وول Cornwall) ولهذا نجد أن جزءاً من سكان هذه المدينة يحمل ملامح مختلفة عن سكان بقية الدولة"**[٥] وذكر بعض المؤرخون أن الرومان هم أول من أدخل اليهود إلى بريطانيا حيث تم جلبهم من القدس خلال الغزو الروماني، ويؤكد المؤرخ اليهودي هايمسون Hyamson على أن **" الأصل السامي له جذور في الجزر البريطانية، ودليل ذلك وجود التشابه بين اللغات العبرية والكورنووليه (نسبة إلى كورنوول) . وربما يرجع اتصال اليهود بإنكلترا إلى النشاط**

التجاري في فترات مبكرة من التاريخ، وربما يرجع إلى فترة استيلاء الرومان على القدس وجلبهم لليهود من هناك" [٦].

ويبدوا لنا مما سبق أن الباحثين الذين يميلون إلى القول بوجود اليهود في إنكلترا منذ فترات تاريخية مبكرة لا يستندون إلى أدلة تاريخية قاطعة، وإنما يستنتجون ذلك من خلال وجود بعض التشابه بين اللغة العبرية واللغات الكورنوولية، أو من خلال وجود سكان يحملون الملامح السامية . لكن مثل هذه الاستنتاجات غير كافية للجزم بوجود اليهود في إنكلترا حتى لو صح ما يذهبون إليه من وجود التشابه بين اللغات والملامح، إذ ليس بالضرورة أن تكون هذه الأمور من مخلفات اليهود، فاللغة السامية متشابهة، وأهل المشرق العربي يحملون نفس الملامح .

كانت العصور الوسطى المبكرة قد شهدت ازدهار الجماعات اليهودية بسبب الدور الذى قام به اليهود في مجال التجارة والمال في المجتمع الأوروبي فقد تحول هذا المجتمع من مجتمع زراعي إلى مجتمع اقتصادي يقوم على سدِّ حاجات الاستهلاك المحلى وعلى المقايضة وأصبحت للنقود قيمة هائلة ، وفي الفترة التي سبقت خروج أولى الحملات الصليبية إلى الشرق العربي كانت الحاجة إلى المال قد تزايدت وظهر دور اليهود وخاصة المرابين منهم وتزايدت الحاجة إلى أموالهم تحت حماية التاج وذلك في عهد الملوك النورمان (١٠٦٦-١١٣٥) ، وكان لزاما على اليهودي الإنكليزي في العصور الوسطى إما أن يكون رأسماليا مقرضا للمال في معظم الأحيان أو الرحيل عن البلاد ، وظهر اليهود في أوروبا وفى إنكلترا خاصةً في فترة حكم الملك وليام الفاتح [٧] ، فإنه لا شك في أن وليام الفاتح هو المسؤول الاول عن تدفق اليهود إلى إنكلترا بأعداد أخذت في التزايد على مدار قرنين من الزمن، فضلا عن تمكينهم من أدى دور اقتصادي، ومنحهم امتيازات عديدة في مجال التجارة والإقراض [٨] . وكانت أول مجموعة استقرت هناك؛ هي تلك التي دخلت مع جيش وليم الفاتح عام ١٠٦٦ ، وكان المهاجرون الأوائل يشكلون مجموعة صغيرة من رجال المال والتجارة القادمين من روين [٩] Rouen ، وزعت هذه المجموعة على معظم المدن الكبيرة في ذلك الوقت خاصة لندن وبريستول وكانتربري [١٠] . وبهذا يتضح لنا إلى أن الخط الفاصل في تاريخ اليهود في أوروبا المسيحية بصفة عامة جاء في منتصف القرن الحادي عشر ومع بدأ الدعوات للحملة الصليبية الأولى .

دور اليهود السياسي والاقتصادي في انكلترا قبل قانون الطرد عام ١٢٩٠

امتلك اليهود بيوتا كثيرة الا أن مدينة اكسفورد (Oxford) انفردت بوجود تجمع عدد اكثر من اليهود الاثرياء في قلب المدينة وامتلكوا قاعات للتعليم مثل (قاعة موسى وقاعة لومبارد Lumbards Hall) وبداية اليهود بإجماع الآراء كانت احد نتائج الغزو النورماندي وحاجة الملك وليم الفاتح للمال جعلته يجلب اليهود وأحضرهم من فرنسا من مدينة روين ، وأنه أحضرهم لتوطيد مركزهم وتلبية احتياجاته المالية والعسكرية ودعم أسرته، وعلى حد تعبير المؤرخ ريتشارد جرين Richard Green قال أن وليم الفاتح وجد في استقرار اليهود الذين اتبعوه من نورماندي مصدراً جاهزاً للإيراد وتمكن هؤلاء بمقتضى الحماية الملكية من إقامة احياء يهودية خاصة بهم وفي المدن الرئيسة في انكلترا [١١] .

اخذت المجاميع اليهودية في التزايد مع وصول الملك وليم الفاتح الى السلطة في عام ١٠٧٠ ، واقاموا في لندن (اولد جوري شيبسايد) Old Gory Shipside وفي اكسفورد وغيرها من المدن ، وقد تمتع يهود فرنسا المهاجرين إلى انكلترا بشيء من الحرية ورغادة العيش [١٢].

ويبدو أن وليام الأول أو الفاتح قد وضع تصوراً أولياً عن الطريقة التي سيحكم بها إنكلترا، والدليل على ذلك أن وليم تواجد في بريطانيا أكثر من مرة وخطط لغزوها، وعندما تم له ذلك باشر فوراً في إحصاء كل أراضيها، وأعاد تقسيم هذه الأراضي وتأسيس النظام الإقطاعي على أسس جديدة تضمن له السيطرة المطلقة على جميع أرجاء البلاد، ولهذا قرر جلب رجال المال والتجارة اليهود، وشجعهم على العمل في مجال التجارة والربا وتحصيل وتحيل الاموال .

ويمكن القول أن اليهود في عهد وليم الفاتح كانوا ضمن ممتلكات الملك وأصبح وجودهم في المجتمع رهن بإرادة الملك وإنعاماً منه عليهم ولم يكن للتاجر اليهودي الحق في المثول أمام المحاكم الملكية والحي اليهودي الذى يعيش فيه مثل غابة الملك King Forest معفى من القانون العام.

وفي عهد الفاتح وابنه وليام الثاني ١٠٨٧- ١١٠٠ الملقب بوليام روفس (Wilam Rufus) وتعني (الاحمر) لقي اليهود معاملة حسنة ، ويُروى ان وليام روفس اقسم من خلال جدال دار بين الاساقفة والحاخاميين ليصيرنَّ يهودياً إذا فاز الحاخامون ، وزاد على ذلك ان وهبهم كراسي جميع الابرشيات الفارغة وكان لهم ثلاث كليات في جامعة اكسفورد لذلك العصر يدرسون فيها العبرانية لأبنائهم ولمن شاء من المسيحيين ، ولكن ذلك لم يطل فأخذ الشعب يتذمر من زيادة ثروتهم ونجاحهم في الاعمال والتجارة ، وتحول التذمر إلى كره [١٣]. وأعطي اليهود امتيازات كثيرة وحصل على إقطاعيات الكنيسة وإيراداتها ومناصبها الشاغرة وأعطاها لليهود وذهبت خلافاته مع الكنيسة بسبب اليهود لأبعد مدى لدرجة تجاهله الساخر والمتعمد لقوانين الكنيسة وجعل اليهود هم الذين اعتنقوا المسيحية أن يعودوا لليهودية [١٤] ، وبذلك يمكن القول أن في عهد الملك وليم الثاني لم يشهد اليهود أي ضغوطات سياسية أو مالية تجاههم ، بسبب العلاقة الجيدة والامتيازات التي حصلوا عليها من قبل السلطة الحاكمة في ذلك الوقت .

وقد سمح لليهود بمقتضى القانون أن يتقاضوا نسبة فائدة عالية وصلت إلى ٢ %مقابل كل مبلغ يستدان لمدة أسبوع، أما إذا كانت مدة الاقتراض سنة كاملة فتصل نسبة الفائدة إلى ٥٠%[١٥] وفي مقابل الامتيازات الواسعة التي كان يتمتع بها اليهود كان الملك يجبي منهم الضرائب الباهظة . وقد بلغت نسبة ما يقدمه اليهود لميزانية الدولة في نهاية القرن الثاني عشر ١٢% من مقدارها الكلي .وعندما أراد الملك هنري الثاني [١٦] Henry II (١١٣٣- ١١٨٩) عام ١١٨٧ جمع مبلغ كبير من المال من كل رعاياه فقد جمع من اليهود وحدهم مبلغاً مساوياً لما جمعه من المسيحيين، وكان الملك قد قرر أخذ ما قيمته ٢٥ % من ممتلكات اليهود، ويقدر المبلغ الذي جمعه منهم بـ ٦٠ ألف باوند، وهو مبلغ كبير، ويذكر المؤرخ أنتوني لودوفيسي (Anthony Ludovici) أن قيمته تعادل 2.4 مليون باوند في زمن الحرب العالمية الاولى . وفي نفس الوقت اقتطع الملك ما نسبته ١٠ % من ممتلكات بقية رعاياه المسيحيين فجمع منهم سبعون ألف باوند [١٧] .

ونتيجة لذلك فقد كان الملك يطلب من اليهود مبالغ كبيرة مقابل تدخله لصالحهم في أي مشكلة، أو في حالة توجههم إليه طلباً للمساعدة في أي أمر من الأمور، وفي هذا الإطار فقد حدث في عهد هنري الأول[١٨] Henry I(١٠٦٨-١١٣٥) عام ١١٣٠ أن قام أحد اليهود بقتل رجل مريض، وعلى اثرها قام الملك بفرض غرامة كبيرة على اليهود تقدر بـ ٢٠٠٠ باوند وذلك لحمايتهم ومنع الاعتداء عليهم وتجديد مواثيق حمايتهم [١٩] .

ومنذ مطلع القرن الثاني عشر الميلادي بدأ اليهود يعانون من بعض الصعوبات نظراً للهجوم عليهم من قبل الكنيسة والبارونات أولاً، ثم أخيراً من قبل العناصر الشعبية .أما عن الكنيسة فقد لجأ الكثير من الأديرة والكاتدرائيات للاستدانة من اليهود، وبلغ حجم الديون التي اقترضتها الأديرة الإنكليزية ما قيمته ٢٥٠ ألف باوند [٢٠] ، الأمر الذي جعل رجال الكنيسة يحقدون على اليهود الذين يمتلكون كل هذه القدرات المالية . وبخصوص البارونات فقد أقلقهم الدور الاقتصادي الذي كان اداه اليهود، خاصة وأن إسهامات اليهود في الميزانية كانت تعطي الملك استقلالية ضدهم، وهذا ما جعل النبلاء يحقدون على اليهود نظراً لما قاموا به من دور اقتصادي له تأثير على المكانة السياسية لفئة النبلاء والبارونات . وتزامن اعتلاء ريتشارد قلب الأسد (١١٨٩-١١٩٩) [٢١] Richard 1 The Lionheart عام١١٨٩ العرش مع تصاعد الحملة ضد اليهود، حيث قامت الجماهير بمنعهم من الوصول إليه وتقديم الهدايا لتهنئته [٢٢] .

وبارتقاء الملك ريتشارد الاول اصبح الوجود اليهودي على شفى فترة حرجة من تأريخيه ، وتجلى ذلك أن احد اليهود وقف ينظر تتويج الملك ريتشارد وكان ذلك محظوراً عليهم فهاج الشعب وثاروا عليهم ، ونهبوا بيوتهم ، فغضب الملك وأمر بمعاقبة الجانين فشنق منهم ثلاثة ، ولكن تعصب الكهنة حال دون تحقيق رغائبه من إجراء العدالة ومعاقبة جميع المذنبين[٢٣] ، وحينما شارك في الحملة الثالثة من الحروب الصليبية عام ١١٨٩، انتهزت القوى المعادية لليهود الفرصة وهاجمتهم في أماكن عدة من أهمها يورك [٢٤] York وتم إحراق الوثائق التي تشتمل على إثبات الديون [٢٥] ،فيما قام احد الرهبان كان بين محاصري قلعة لجأ اليها اليهود ، قد رماه احد هؤلاء بحجر فثار ثائر المحاصرين للقلعة ، واضطر اليهود أن يقتلوا انفسهم بأيديهم ، فقد ذبح رئيسهم (جوس) زوجته واولاده وذبح الكاهن اليهودي بوم توساس جويني – جوس ثم قتل نفسه [٢٦] ، وساءت احوالهم جداً وخيروا في بعض المدن بين الموت او اعتناق النصرانية فاختاروا الموت ، ومن يطالع رواية إيفانهو (الشهامة والعفاف) لوتر سكوب يرَ ما حل ٍ بهم في ذلك العصر الارهاق والظلم ، ويعجب لثباتهم على دينهم ومعتقدهم في وسط تلك الاضطهادات التي ثارت عليهم ، نعم لقد كان الانكليز قوم من ذوي الشهامة دافعوا عنهم ، ولكنهم كانوا نفراً قليلاً لا يحسبون شيئاً في جنب الذين نقموا عليهم وارادوا بهم السوء [٢٧] ورأى الملك أن هذا الهجوم موجه ضده، ولهذا ثأر لنفسه وأمر بمصادرة أموال زعماء الهجوم [٢٨] وعندما عاد الملك لإنكلترا عام ١١٩٤ قرر تنظيم العلاقة بين اليهود المشتغلين بالتجارة والإقراض وبين بقية المجتمع، وبمقتضى الوضع الجديد أصبح حفظ الوثائق والعقود يتم في صناديق توضع في البلديات [٢٩] ، وبهذا انتعشت امالهم وصارت حياتهم في امان بعودة الملك ريتشارد [٣٠] .

عهد الملك جون واثره في التواجد اليهودي في انكلترا

اتسم حكم الملك جون[٣١] John (١١٩٩-١٢١٦) بالصراع بينه وبين الكنيسة والبارونات بسبب محاولة الملك السيطرة على الكنيسة، إضافة إلى فرضه ضرائب باهظة لتمويل حربه ضد فرنسا، لكن الملك في النهاية خضع لإرادة النبلاء والكنيسة ووقع على وثيقة العهد الأعظم Magna Carta ليلتزم بمقتضاها بعدم التعسف في إدارة البلاد .وتتألف الوثيقة من مقدمة وثلاث وستين مادة تدور حول بضعة محاور هي حرية الكنيسة، والعلاقات بين الملك وتابعيه من رجال الإقطاع، وسياسات الحكم الملكي وإجراءاته، وقواعد تسوية النزاع بين الملك والنبلاء .ولعل المادة التاسعة والثلاثين هي أهم هذه المواد جميعاً ذلك بأنها نصت على عدم جواز اعتقال أي مواطن أو سجنه أو نفيه من غير محاكمة [٣٢] وفي إطار الصراع بين الملك والنبلاء ورجال الكنيسة كان الملك قد لجأ عام ١٢٠٢ لإصدار قرار بوضع اليهود تحت سلطته القانونية المباشرة أو تحت سلطة الحكام المحليين، وشرع لهم حقوق مهمة مثل أن يكون لهم محاكمهم الخاصة لفض المنازعات التي تنشب فيما بينهم حتى لا يضطروا للاحتكاك بالإقطاعيين ومحاكمهم[٣٣].

ولم يترد وضع اليهود في إنكلترا بين عشية وضحاها بل استغرق الأمر ما يقارب قرنين من الزمان، ويمكن القول أن توجيه الإنكليز تهمة الدم [٣٤]"blood Libel" لليهود هي أحد أبرز المؤشرات أو التجليات لتدهور أوضاع اليهود في إنكلترا، وقد وجهت أول تهمة دم لليهود في إنكلترا عام ١١٤٤ في نوريتش [٣٥] Norwich حيث اتُهم اليهود بذبح طفل يدعى وليمWilliam عمره أربع سنوات ونصف قبل يومين من عيد الفصح عند اليهود . ثم وجهت تهم دم أخرى لليهود في مناطق مختلفة من إنكلترا بين عامي ١١٦٨-١١٩٢ [٣٦] .

بغض النظر عن مدى صحة أو بطلان الاتهامات التي وجهت لليهود بشأن قتل الأطفال المسيحيين؛ فإن ما يهم الموضوع هو مجرد إطلاق الاتهام ضد اليهود، وهذا ثابت في تاريخ بريطانيا في العصور الوسطى، وأن توجيه تهمة الدم لليهود في ذلك الوقت كان، في نتيجته، أن جلب فائدة لجهات عديدة في المجتمع الإنكليزي في ذلك الوقت؛ فمجرد إطلاق هذه التهمة كان يعني شنق بعض اليهود، ومن بينهم عدد كبير من المرابين، حيث كان الربا العمل الرئيسي لليهود، وعندما يشنق المرابون تسقط ديونهم عن الجهات المستدينة .وكانت الخزانة الملكية ذاتها تستفيد من تهمة الدم، حيث ترث ممتلكات المرابي الذي يشنق أو يطرد، كما أن النخبة الحاكمة كانت تنتهز هذه الفرصة لتعرض على اليهود تجديد المواثيق الممنوحة لهم والتي تضمن حمايتهم، وتكفل لهم المزايا نظير مبالغ جديدة يدفعونها كما حدث في عهد الملك هنري الأول، وكان ريتشارد قلب الأسد قد تمكن من سن قانون ينص على حقه في وراثة ممتلكات وأموال اليهود الذين ذبحوا في هجوم عيد الفصح عام ١١٩٠ [٣٧] .

وفي هذا الإطار يرى المسيري" أن اليهود كانوا مجرد أداة في يد الطبقة الحاكمة يستغلونها في امتصاص ثروات المجتمع، ثم يقوم الملك باعتصارهم عن طريق الضرائب الباهظة التي يفرضها عليهم [٣٨] ، وقد شبه أحد المؤرخين اليهود انتوني لودوفيتشي (Ludovici, Anthony) بأنهم مثل" غشاء الجنين حيث يتواجدون بين الملك وجسد شعبه، ويقومون بدور الوسيط حيث يمتصون الأموال من الناس ثم يقدمونها للملك، وبينما يستفيد الملك من أموال رعيته التي جمعها اليهود بوسائل مختلفة؛ وغالباً ما تكون غير مقبولة من قبل المجتمع، فإن الرعية لا تستطيع إلا رؤية الغشاء الفاصل بينهما(أي الوسيط أو الوسيلة وهو اليهود هنا) وبهذا تتوجه الكراهية للوسيلة وليس للمستغل المتوحش الأساسي [٣٩] لكن لا يمكن التسليم بهذا المنطق فاليهود

أنفسهم كانوا يقومون بأعمال تثير الكراهية ضدهم مثل التباهي بالثراء من خلال ملابسهم ومجوهراتهم، وكذلك احتكارهم لمهنة الطب، وسخريتهم من معتقدات الناس الخاصة بالأمراض وطرق العلاج منها ووصفها بالخرافية [٤٠] وقد أدى وضع اليهود بوصفهم أداة في يد الملك إلى عزلتهم عن بقية طبقات المجتمع، إذ كانوا في حالة صراع مع النبلاء والبارونات بسبب علاقتهم الفريدة بالملك، وبسبب الفائدة التي تعود عليه منهم، كما كان الفلاحون يقعون ضحية المرابي اليهودي الذي يتمتع بحماية الملك .لكن سكان المدن كانوا أكثر الطبقات عداء لليهود؛ لأن المدن هي مركز الاقتصاد، واليهود يركزون فيها نشاطاتهم التجارية والربوية، وهذا ما يفسر بروز تهمة الدم ضد اليهود لأول مرة في مدينة نورويتش[٤١].

بناء على ما تقدم يمكن القول أن المعاناة التي لاقاها اليهود في إنكلترا نتجت بسبب الدور الذي كان لعبه اليهود لاسيما في الجانب الاقتصادي عن طريق اموالهم التي من خلالها اصبحوا كأداة في يد الحاكم، وليس لكونهم يهود(أي أصحاب دين) . وهذا يعني أن ما حدث ضد اليهود من انتقام ومذابح وتوجيه اتهامات يمكن اعتباره ضرباً من ضروب الثورة الشعبية ضد الاستغلال، وليس عداء للسامية أو حقداً على اليهود بسبب الدين، فالجماهير لم تكن تفهم آليات الاستغلال الاقتصادي وطابعها المركب، ولم تكن ترى سوى أداة الاستغلال المباشرة والملموسة، وكانت هذه الأداة هي اليهود الذين يستخدمهم الملك ويقوم بحمايتهم .ولذلك كانت الثورة تندلع ضد اليهود في حالة ضعف السلطة، أو غياب الملك في إحدى الحملات الصليبية كما حدث في عهد ريتشارد الأول.

تسلم هنري الثالث للحكم وقانون الطرد اليهودي عام ١٢٩٠

وبمجيء الملك هنري الثالث Henry III ١٢١٦- ١٢٧٢ انقلب عليهم وأمر بنهبهم وحبسهم في جميع انحاء المملكة واصابهم اذى شديد واتهمهم البعض بأنهم ينزعون جزءاً من ذهب النقود وفضتها بعد ان يقبضوها ، ثم يدفعوها الى التجار[٤٢] . فاصدر ذلك الملك أمره إليهم عام ١٢٣٠ بأن يدفعوا إلى الخزينة ثلث اموالهم المنقولة ، وفي اثناء ذلك اتهموا بصلب ولد من اولاد المسيحيين اسمه (هيولنكولن) وهي تهمة اتضح فسادها بعدئذ ، وتبين بأجلى بيان انها أذيعت بقصد الايقاع بهم في زمان لم يدخروا اعداؤهم فيه جهداً لإهلاكهم وخرابهم [٤٣] .

لكن لا يمكن أن نتجاهل الخلفية الدينية أو الأثنية لأعمال الاحتجاج والانتقام ضد اليهود ومنهم، فالعامل الديني هو الذي جعل اليهود وحدهم يمارسون مهنة الربا التي تحرمها الديانة المسيحية [٤٤] . واليهود هم قتلة المسيح في نظر المسيحيين . كما أن اليهود هم عنصر غريب قادم من نورماندیا إلى إنكلترا بعد أن استقر الأنجلوساكسون فيها قرابة سبعة قرون. حاول إدوارد الأول[٤٥] Edward I (١٢٣٩-١٣٠٧) بعد اعتلائه العرش عام ١٢٧٢ أن يجد حلاً لمسألة يهود إنكلترا، فكان يرى أن اليهود في إنكلترا أصبحوا مجموعة صغيرة لم تعد تؤدي وظيفة اقتصادية. ومن ثم حاول توجيههم للعمل بالزراعة والحرف ومنعهم من الاشتغال بالربا، فأصدر قانون اليهودية عام ١٢٧٥ [٤٦] لكن هذه المحاولة باءت بالفشل حيث لجأ الكثير من اليهود الفقراء إلى السبل غير الشريفة للعيش مثل برد حواف العملات الذهبية، وهو ما كان ينقص قيمتها. وحينما اكتشف أمر بعضهم عام ١٢٧٨ أمر الملك بتفتيش بيوتهم، وشنق ٢٣٩ منهم.[٤٧] ، وعلى الرغم من ذلك لم

تتحسن أحوالهم بتبوؤ إدوارد عرش المملكة ، ولكن بعض الإنكليز حاول ان يثنيهم عن الربا كما حاول غيرهم ذلك في فرنسا فلم يفلح ؛ لان اليهود كانوا ممنوعين عن معاطاة الاعمال الاخرى طبقاً للأوامر الملكية العديدة التي صدرت بشأنهم ؛ ولان كره الناس لهم في اوربا جمعاء حال بينهم وبين اهتمامهم بالصناعات والزراعة لكثرة ما كان يصيبهم من النهب والظلم ، وما ينزل بهم من الاذى ، ولما اشتد بهم الامر في انكلترا ضاقت بهم سبل الوجود توسلوا الى الملك أن يأذن لهم بمغادرة البلاد ، فأقنعهم بالبقاء[٤٨] ولكن رجال الكنيسة والباورنات كانوا يعرفون أن سر احتفاظ الملك باليهود هو أنه يوظفهم لحسابه ويحقق الأرباح من خلالهم، فقرر رجال الكنيسة والباورنات إعطاء الملك عشر الأملاك المنقولة إن هو طرد رعاياه اليهود، وبالفعل أصدر الملك بتاريخ الثامن عشر من تموز عام ١٢٩٠ قراراً يقضي بوجوب مغادرة كل اليهود من إنكلترا، بحيث يتم الأمر كلياً مع بداية شهر تشرين الثاني من نفس العام، وكل من سيبقى من اليهود بعد هذا التاريخ في إنكلترا سيتم إعدامه[٤٩] ، فأخرجوا من انكلترا فخلفوا في يد الملك جميع اموالهم وديونهم ورهنهم وارتحلوا الى فرنسا وجرمانيا وايطاليا، ويقدر عددهم حينئذ بنحو ستة عشر الف شخص [٥٠] ، وشبه الجزيرة الإيبيرية وبأعداد صغيرة إلى المغرب ومصر[٥١] .

يتضح مما تقدم أنه تكون خلال القرن الثالث عشر توجهاً معادياً لليهود في إنكلترا، وبدأ هذا التوجه نخبوياً في أوساط رجال الدين والباورنات ثم انتقل إلى الدوائر الشعبية، وقد كان هذا التوجه مثقلاً بالأبعاد الدينية مثل ادعاء المسيحيين بقتل اليهود لعيسى عليه السلام، والأبعاد الاقتصادية مثل الاقتراض والربا وتكوين رؤوس الأموال الضخمة، والسياسية مثل علاقة اليهود بالملك وتأثير ذلك على الباورنات .واضطر الملك في النهاية لاتخاذ قراره بطرد اليهود تحت ضغط كل هذه الاعتبارات نظراً لما يتسبب به وجودهم من توترات داخل المجتمع البريطاني.

الخاتمة

- كان اقتصاد إنكلترا عشية الغزو النورماندي عام ١٠٦٦ بسيطاً جداً، مبنياً على المقايضة وحسب. وكان وليام الأول الفاتح، يود أن يحصل على ريعه من الأرض التي فتحها نقداً، ولذا قرر إدخال عنصر رأسمالي تجاري مالي. ووجد ضالته في أعضاء الجماعات اليهودية بسبب فائدتهم ونفعهم، وخصوصاً في تشجيع تداول العملات. ومن ثم شجع اليهود (كجماعة وظيفية استيطانية نافعة) على الاستقرار ليقوموا بدور الوسيط التجاري في هذه المنطقة الجديدة، وبدور محصلي أموال التاج. وكان هذا الامر سببا في مجيء واستيطان اليهود في إنكلترا .
- ومع بداية القرن الثاني عشر، بدأ وضعهم في التدهور نظراً للهجوم عليهم من قبل الكنيسة والباورنات، ثم أخيراً من قبل العناصر الشعبية في المدينة. وكان أعضاء الجماعة اليهودية محط كراهية خاصة لارتباطهم بالملك كأقنان بلاط، بل أصبحوا جزءاً أساسياً من الصراع الأساسي في العصور الوسطى في الغرب (أي الصراع بين الملك وبقية الفئات والطبقات في المجتمع). وتزامن اعتلاء ريتشارد الأول (قلب الأسد) عام ١١٨٩ العرش مع تَصاعُد الحملة ضد الجماعة الوظيفية التجارية الوسيطة اليهودية.
- اصبح الوجود اليهودي في انكلترا كبيرا ومؤثرا في السياسة الانكليزية بسبب العلاقات التي حصلوا عليها مع بعض ملوك السلطة الحاكمة في انكلترا ، وتجلت تلك العلاقة فترة حكم

الملك جون ، ولاسيما بالصراع الذي دار بينه وبين الكنيسة والبارونات، عندما أصدر الملك قراراً بوضع أعضاء الجماعة اليهودية تحت سلطته القانونية المباشرة أو تحت سلطة الحكام المحليين، الأمر الذي كان يعني إنهاء أية سيطرة للبارونات أو الكنيسة عليهم. وضمنت هذه التنظيمات كثيراً من حقوق أعضاء الجماعة اليهودية وضمن ذلك حق القَسَم على

- التوراة، وأن يكون لهم محاكمهم الخاصة لفض المنازعات التي تقوم فيما بينهم.

الهوامش

(1)Encyclopedia Judaica, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.p. 747.
(2)Ibid, Vol. 6, p. 748.
(٣) وليام الاول أو وليام الفاتح :هو دوق نورماندية ابتداءً من ١٠٣٥ وملك انكلترا ابتداءً من ١٠٦٦ ، قاد الحملة النورماندية على إنكلترا، وفتحها ، بعد انتصاره على قوات الملك هارولد الثاني في معركة هيستنجز سنة ١٠٦٦.
David C. Douglas ,William the Conqueror: The Norman Impact Upon England ,University Caliifornia Press ,1964 .
(4)Ludovici, Anthony: The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.p.1-2.
(٥) نقلا عن : نهاد محمد سعدي ، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦-١٩١٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية غزة ، كلية الاداب ،٢٠٠٣، ص١١.
(٦) المصدر نفسه ، ص١١.
(7)Robinson, James Harvey: Readings in European History, vol. 1,2007, p. 153.
(8)Ibid, p. 153.
(٩) روبن Rouen مدينة في الجزء الشمالي من فرنسا، ويرقى تاريخها إلى عهد الرومان. منير البعلبكي ، معجم اعلام المورد ،ج٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص١٦٩.
(١٠) عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص٣١٧ .
(١١) زينب عبد المجيد ، الانجليز والحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٦ ، ص٣١-٣٤؛
https://www.alukah.net/publications_competitions/0/40729/
(١٢) عبد الله حسين ، المسألة اليهودية ، القاهر ، ١٩٤٧ ، ص ١١٧.
(١٣) شاهين مكاريوس ، تاريخ الاسرائيليين ، القاهرة ، ٢٠١٦، ص٦٨.
(14)Roth, Ashort History of the Jewish People, London, 1959, P.185.
(15)Anthony Ludovici , The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.p.3.
(١٦) هنري الثاني الذي يُعرف بإسم هنري ذو العباءة القصيرة وذلك يُعزى إلى تفضيله ارتداء العباءات القصيرة بدلاً من الطويلة. هو ملك إنكلترا، وسيد إيرلندا، وكونت أنجو ومين ونانت، وكذلك دوق كل من نورماندي وأقطانية. كما حكم اسكتلندا وويلز وبريتاني. هنري هو الابن الأكبر لجيوفري كونت أنجو وماتيلدا ابنة هنري الأول ملك إنكلترا لمزيد اكثر التفاصيل ينظر :
Harper-Bill, Henry II: New Interpretations, press Woodbrige,2007,p.24.
(17)Anthony Ludovici , Op.Cit ,P.3.
(١٨) هنري الأول ملك إنكلترا ودوق نورماندي هو الابن الرابع لويليام الاول الغازي، توج ملكاً على إنكلترا سنة ١١٠٠ بعد موت أخيه الأكبر ويليام الثاني. في سنة ١١٠٦، حارب أخاه الثاني روبرت الثاني دوق نورماندي وهزمه في معركة تينشيبراي وأخذ منه لقب دوق نورماندي . لمزيد اكثر التفاصيل ينظر :
https://www.britannica.com/biography/Henry-I-king-of-England

(19)Anthony Ludovici , Op.Cit ,P.3.
(20)Harrison, David: Tudor England, 2 Vols., Cassell Place of Publication, London, England, 1953, P.28.
(٢١) ريتشارد الاول Richard 1 ملك انجلتر ١١٨٩-١١٩٩ قضى معظم سنين حكمه خارج البلاد شارك في الحملة الصليبية الثالثة ١١٨٩- ١١٩٢ ابتغاء الاستيلاء على بيت المقدس عرف بشجاعته ومن اجل ذلك اطلق عليه لقب قلب الاسد . منير البعلبكي ، المصدر السابق ، ج٨ ، ص ١٥٠ .
(22)Roger of Hovden: The History of England, Vol. 2,p.117.
(٢٣) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق، ص٦٨.
(٢٤) يورك مدينة في الجزء الشمالي الشرقي من إنجلترا، ويرقى تاريخها إلى عهد الرومان. منير البعلبكي ، المصدر السابق ، ج١٠ ، ص١٨٨.
(٢٥) Michael Staunton , The Historians of Angevin England , Oxford University Press , 2017, P.334 .
(٢٦) عبد الله حسين ، المصدر السابق ، ص ١١٨.
(٢٧) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص٦٨.
(28)Roger of Hovdin: Op. Cit., Vol. 2, P. 119.
(29)William of Newburg: History of English Affairs, Vol. 4, pp. 9-16.
(٣٠) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق، ص٦٨ ؛
Michael Staunton, Op.Cit ,P.334.

(٣١) جون ملك انكلترا ١١٩٩-١٢١٦ نشب صراع شديد بينه وبين البابا إنوسنت الثالث سنة ١٢٠٥ ، فأصدر البابا قراراً بخلعه، وحاول الملك جون تقويض سلطة النبلاء فثاروا عليه وأكرهوه سنة ١٢١٥ على إقرار الوثيقة العظمى . منير البعلبكي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص١٦٠.
(٣٢) سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٨١ ، ص٤٨٤. انظر نص العهد الأعظم الماجنا كارتا.
Adams,George Burton: Select Documents of English Constitutional History, p.35.
(33)Jacobs, Joseph: The Jews of Angevin England Documents and Records,pp.212-215.
(٣٤) وكانت تهمة الدم تأخذ الشكل التالي : يختفي شخص مسيحي (في العادة طفل) ، أو يوجد مقتولا ، فيتذكر أحد الاشخاص أن هذا الطفل أو الشخص شوهد أخر مرة بجوار الحي اليهودي ، أو أن هناك عيدا (عادة عيد الفصح) تتطلب شعائره دم نصراني ، ونظرا لأن عيد الفصح المسيحى واليهودي قريبان فقد تطورت التهمة وأصبح الاعتقاد بأن اليهود يستعملون دماء ضحاياهم فى شعائرهم الدينية وأعيادهم وبخاصة فى عيد الفصح اليهودي حيث أشيع أن خبز الفطير غير المخمر (ماتزوت) الذى يؤكل فيه يعجن بهذه الدماء وتطورت الشائعة فكان يقال أن اليهود يصفون دم ضحايهم لأسباب طبية أو لاستخدامه فى علاج الجروح الناتجة عن عملية الختان . فضلا عن إن البيئة والمناخ السيكولوجي الذي أفرزته الحملة الصليبية الأولى باعتبار اليهود أعداء للمسيح خلق استعدادا شعبيا ينظر لليهود جميعاً باعتبارهم قتلة آثمين وبالتالي وجهت أول تهمة لليهود في إنكلترا عام ١١٤٤ م مصحوبة بمشاحنات نفسية ضد اليهود . عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، مج١ ، ص١٥٠.
(٣٥)نورويتش مدينة في الجزء الشرقي من إنجلترا .ورد ذكرها لأول مرة سنة ١٠٠٢ للميلاد، وفيها كاتدرائية ترقى إلى الفتح النورماندي سنة ١٠٦٦ . البعلبكي، منير، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٤٣ .
(36)Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.p.205-206 ؛
عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص ١١٨.
(37)William of Newburge: op. cit., Vol.1, P306.
(٣٨) عبد الوهاب المسيري ، المصدر السابق ، ج٤ ، ص٣١٧.

(39)Anthony Ludovici , op. cit., vol. 3, p. 4.
(40) Ibid, p. 4.

(٤١) نهاد محمد سعدي ، المصدر السابق ، ص١٧.
(٤٢) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص٦٨.
(٤٣) المصدر نفسه ، ص٦٨.
(٤٤) جون كينيث جالبريث ، تاريخ الفكر الاقتصادي صور الحاضر ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، الكويت ، ٢٠٠٠، ص ٣٣-٣٦.
(٤٥) الملك إدوارد الأول، والمُلقب بـ الساقين الطويلتين ومطرقة الاسكتلنديين هو ملك إنجلترا العاشر، وهو الابن الأكبر للملك هنرى الثالث بن الملك جون بن الملك هنرى الثانى، وخلفه ابنه الملك إدوارد الثانى وعمه هو الملك ريتشارد الأول قلب الأسد.لمزيد اكثر التفاصيل ينظر :
Marc Morris, A Great and Terrible King: Edward I and the Forging of Britain,London , 2008 .
(٤٦) المقصود بقانون اليهودية هو إعادة تأهيل اليهود في إنكلترا لكي يمكنوا من العمل في المهن المنتجة. انظر نص قانون اليهودية لسنة ١٢٧٥ في:
Brand, Paul: Jews and the Law in England 1275-1290, English Historical Review, Nov. 2000, pp. 1-6.
(47)Abrahams, Israel: Jewish Life in the Middle Ages, The Jewish Publication Society of America, USA, 1969. P.243; Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.p.232.
(٤٨) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ، ص٦٨.
(49)Abrahams, Israel: Op.Cit. P.243; Glick, Leonard:Op.Cit.p.232.
(٥٠) شاهين مكاريوس ، المصدر السابق، ص٦٨.
(51)Maristella Botticini and Zvi Eckstein , The Chosen Few How Education Shaped Jewish History, 70–1492 , United States of America , 2012, P.48.

المصادر

اولاً : الكتب الوثائقية :

1- Adams,George Burton: Select Documents of English Constitutional History.
2- Jacobs, Joseph: The Jews of Angevin England Documents and Records.

ثانياً / الرسائل والاطاريح الجامعية :

١- نهاد محمد سعدي ، دور بريطانيا في بلورة المشروع الصهيوني ١٦٥٦-١٩١٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الاسلامية غزة ، كلية الاداب ،٢٠٠٣.

ثالثاً / الكتب العربية والمعربة :

١- جون كينيث جالبريث ، تاريخ الفكر الاقتصادي صور الحاضر ، ترجمة احمد فؤاد بلبع ، الكويت ، ٢٠٠٠.
٢- زينب عبد المجيد ، الانجليز والحروب الصليبية ، القاهرة ، ١٩٩٦.
٣- سعيد عبد الفتاح عاشور ، اوربا العصور الوسطى ، القاهرة ، ط٨ ، ١٩٨١.
٤- شاهين مكاريوس ، تاريخ الاسرائيليين ، القاهرة ، ٢٠١٦.
٥- عبد الله حسين ، المسألة اليهودية ، القاهر ، ١٩٤٧.

رابعاً / الكتب الاجنبية :

1- Abrahams, Israel: Jewish Life in the Middle Ages, The Jewish Publication Society of America, USA, 1969.
2- Anthony Ludovici , The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.
3- Brand, Paul: Jews and the Law in England 1275-1290, English Historical Review, Nov. 2000.
4- David C. Douglas , William the Conqueror: The Norman Impact Upon England ,University Caliifornia Press ,1964
5- Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.
6- Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.
7- Harper-Bill, Henry II: New Interpretations, press Woodbrige,2007.
8- Harrison, David: Tudor England, 2 Vols., Cassell Place of Publication, London, England, 1953.
9- Ludovici, Anthony: The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.
10- Marc Morris, A Great and Terrible King: Edward I and the Forging of Britain,London , 2008.
11- Maristella Botticini and Zvi Eckstein , The Chosen Few How Education Shaped Jewish History, 70–1492 , United States of America , 2012.
12- Michael Staunton , The Historians of Angevin England , Oxford University Press , 2017.
13- Robinson, James Harvey: Readings in European History, vol. 1,2007.
14- Roger of Hovden: The History of England, Vol. 2.
15- Roth, Ashort History of the Jewish People, London, 1959.
16- William of Newburg: History of English Affairs, Vol. 4.

خامسا/ الموسوعات الاجنبية :

1. Encyclopedia Judaica, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.

سادسا / الموسوعات العربية :

١- عبد الوهاب المسيري ، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٤ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٩.
٢- منير البعلبكي ، معجم اعلام المورد ،مج٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٢.

الأنترنت) العالمية المعلومات شبكة سابعا /

- https://www.alukah.net/publications_competitions/0/40729/
- https://www.britannica.com/biography/Henry-I-king-of-England